

١٨



الجزء الثالث

السجين



يُنْظَمُ وَيُنْصَبُ الْجَمِيعُ لِأَصْدِرِ الْكَسْبَةِ
وَيُنْعَنُ وَيُنْصَبُ الْكَشْفُ لِأَنْتَ أَنْتَ



دخلَ نَبِيُّ اللَّهِ يُوسُفُ عليه السَّلَامُ فِي نَهَمَةٍ هُوَ بَرِيءٌ مِّنْهَا ..
وَفِي السَّجْنِ اتَّهَزَ يُوسُفُ عليه الفَرْضَةُ .. فَرُزْصَةُ
الْهُدُوءِ وَالسُّكِينَةِ ، فَتَفَرَّغَ لِعِبَادَةِ اللَّهِ - تَعَالَى ..
وَوَجَدَ وَقْتًا لِلتَّأْمِيلِ فِي كَوْنِ اللَّهِ وَمَلَكُوتِهِ ..
وَلَمْ يَضْعِ يُوسُفُ الفَرْضَةُ ، وَهَا هُوَ ذَا يَقُومُ بِالدُّعْوَةِ إِلَى
اللَّهِ ، فَدَعَا الْمَاجِينَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ ..
وَفِي صَبَرٍ وَحِكْمَةٍ وَتَعْقُلٍ رَاحَ يُوسُفُ عليه يُحَدِّثُ

رَمْلَاءُهُ مِنَ الْمَسَاجِينَ عَنِ اللَّهِ بِالْإِقْنَاعِ الْعَقْلِيِّ .
حَدَّتْهُمْ عَنْ عَظَمَةِ اللَّهِ - تَعَالَى - وَقُدْرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ
بِعَادَهُ وَمَخْلُوقَاتِهِ . . .
وَكَانَ يَسْأَلُهُمْ فَاتَّلَّا :
- أَيُّهُما أَفْضَلُ ، أَنْ تَعْبُدُ اللَّهَ ، رَبَّ هَذَا الْكَوْنِ ،
الَّذِي خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا ، وَمَنَحَنَا كُلًّا أَسْبَابَ الْحَيَاةِ ، أَمْ أَنْ
تَعْبُدُ مِنْ دُونِهِ أَرْبَابًا مُغَافِرَقِينَ ، وَالْهَمَّةُ مِنْ تَمَاثِيلَ لَا تَنْفَعُ
وَلَا تَنْفِرُ ، وَلَا تُغْنِي عَنِّي مِنْ عَذَابِ اللَّهِ شَيْئًا !؟
وَكَانَ مِنْ بَيْنِ الْمَسَاجِينِ ، الَّذِينَ دَخَلُوا السَّجْنَ مَعَ
يُوسُفَ اثْنَانِ مِنَ الْفَتَيَانِ . . .
كَانَ أَحَدُ الْفَتَيَيْنِ قَبْلَ دُخُولِهِ السَّجْنِ يَعْمَلُ خَبَازًا
فِي قَصْرِ مَلِكِ مِصْرِ . . .
وَكَانَ الْآخَرُ يَعْمَلُ سَاقِيًّا لِلْمَلِكِ ، فَكَانَ يَقُومُ بِتَقْدِيمِ
كُنْسِ الشَّرَابِ لِلْمَلِكِ . . .
وَذَاتَ يَوْمٍ فِي السَّجْنِ رَأَى كُلُّ مِنَ السَّاقِي وَالْخَبَازِ

حَلْمًا فِي مَنَامِه .. وَكَانَ حَلْمٌ كُلُّ مِنْهُمَا يَخْتَلِفُ عَنْ
حَلْمِ الْآخَرِ .. فَمَاذَا رَأَى كُلُّ مِنْهُمَا ١٩

شَاهِدُ الْخَبَارِ فِي حَلْمِهِ أَنَّهُ يَحْمِلُ فُوقَ رَأْسِهِ خَبْرًا ..
وَشَاهِدُ مَجْمُوعَةً مِنَ الطَّيْورِ تُحَوِّمُ فُوقَ رَأْسِهِ
وَتَخْتَطِفُ أَرْغَفَةَ الْخَبَرِ وَتَأْكِلُهَا ..

وَشَاهِدُ السَّاقِي نَفْسَهُ وَهُوَ يَقْفَ أَمَامَ الْمَلِكِ وَيَقُولُ
بِتَقْدِيمِ كَأسِ الشَّرَابِ لَهُ ..

وَكَانَ الْخَبَارُ وَالسَّاقِي قَدْ سَمِعَا عَنْ يُوسُفَ الْمَصْدِيقِ
فِي السَّجْنِ ، وَعْرَفَا أَنَّهُ يُسْتَطِعُ تَفْسِيرَ الْأَخْلَامِ ، وَفَلَكَ
رَمْزُوهَا الْغَرِيبَةِ ، وَمَعْرِفَةَ مَا تُشِيرُ إِلَيْهِ هَذِهِ الرَّمْزُ ..
وَلِذَلِكَ ذَهَبَا إِلَى يُوسُفَ ، وَقَصَّ كُلُّ مِنْهُمَا عَلَيْهِ
حَلْمَهُ ، وَطَلَبَ مِنْهُ تَفْسِيرَهُ ..

فَمَاذَا قَالَ لَهُمَا يُوسُفُ ٢٠

أَتَهْزِ يُوسُفُ اللَّهَ الْفَرَصَةَ ، وَقَبْلَ أَنْ يَتَدَدَّأَ بِتَفْسِيرِ حَلْمِ
كُلِّ مِنَ السَّاقِي وَالْخَبَازِ ، رَاحَ يَدْعُو كُلَّا مِنْهُمَا



إِلَى الْإِيمَانِ بِاللهِ - تَعَالَى - وَقَالَ لَهُمَا : إِنَّمَا قَدْ تَرَكَ
دِينَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ خَارِجَ السَّجْنِ ، وَالَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ . . .
وَإِنَّهُ يَعْبُدُ اللهَ - تَعَالَى وَلَا يُشْرِكُ بَهُ أَحَدًا - عَلَى دِينِ
أَبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، إِبْرَاهِيمَ وَاسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ -
عَلَيْهِمُ السَّلَامُ -

وَإِنَّ تَوْحِيدَ اللهِ وَعِبَادَتَهُ ، هُمَا مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْهِ ،
وَعَلَى أَبَائِهِ وَعَلَى النَّاسِ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ
خَالِقَهُمْ عَلَى نِعْمَةِ الْهُدَى وَالْإِيمَانِ . . .
شَمْ يَسْأَلُ يُوسُفَ كُلُّاً مِنَ السَّاقِ وَالْخَبَازِ قَائِلاً :
- أَيُّهُما أَفْضَلُ : أَنْ تَعْبُدُوا آلَهَةَ مُتَفَرِّقةَ لَا تَنْفَرُ وَلَا تَنْتَفَعُ ،
أَمْ تَعْبُدُونَ اللَّهَ الْوَاحِدَ الْقَهَّارَ ١٩
شَمْ يُضَيِّفُ قَائِلاً :

- إِنَّ مَا تَغْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ ، مَا هُنَّ إِلَّا أَصْنَامٌ
وَتَعَابِيلٌ أَطْلَقْتُمُ أَثْنَمْ وَأَبَاوْكُمْ عَلَيْهَا أَسْمَاءَ ،

وَجَعَلْتُمُوهَا أَلِهَةً ، وَإِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - لَمْ يَأْمُرْ بِعِبَادَةِ هَذِهِ
الْأَصْنَامِ مِنْ دُونِهِ ، لَكِنَّهُ مُبَحَّانَهُ أَمْرَنَا أَنْ نَعْبُدَهُ دُونَ سِوَاهُ ..
وَيَعْنَدُ هَذِهِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ بَدَأْنِي اللَّهُ يُوسُفُ فَخَمَّ
يَقْسِرُ لِكُلِّ مِنَ السَّاقِي وَالْخَبَازِ حُلْمَهُ ..

فَقَالَ لِلْسَّاقِي :

- أَنْتَ أَيُّهَا السَّاقِي سَوْفَ يُفْرَجُ عَنْكَ ، وَتَبَرَّاً مِنَ
الثَّهْمَةِ الْمُنْسُوَّةِ إِلَيْكَ ، وَسَوْفَ تَعُودُ إِلَى مُمَارَّتِهِ
عَمَلَكَ فِي قَصْرِ الْمَلِكِ ، كَمَا كُنْتَ فِي السَّابِقِ ..

وَقَالَ لِلْخَبَازِ :

- أَمَا أَنْتَ أَيُّهَا الْخَبَازُ ، فَسَوْفَ تَثْبِتُ عَلَيْكَ الثَّهْمَةُ ،
الَّتِي دَخَلْتَ بِسَبِيلِهَا السُّجْنَ ، وَسَوْفَ يَحْكُمُ عَلَيْكَ
بِالْعَوْتِ حَلْبًا ، وَسَيُتَرَكُ جَسَدُكَ فِي الْعَرَاءِ ؛ لَا أَكُلُّ
الطَّيْرَ مِنْهُ وَأَنْتَ مِيتٌ .. هَذَا هُوَ تَفْسِيرُ حَلْمٍ كُلِّ مِنْكُمَا ..

ثُمَّ أَضَافَ قَائِلاً لِلْسَّاقِي :

- أَرْجُو مِنْكَ أَيُّهَا السَّاقِي ، أَنْ تَذَكَّرْ لِلْمَلِكِ ، عِنْدَمَا

نَفَرْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، أَنَّهُ يُوجَدُ فِي السُّجْنِ إِنْسَانٌ بَرِيٌّ
مَظْلُومٌ دَخَلَ السُّجْنَ دُونَ ذَنْبٍ أَوْ تَهْمَةٍ .. هُوَ أَنَا ..
فَوْعَدْتُهُ السَّاقِي بِأَنَّهُ سَوْفَ يَذَكُّرُ لِلْمُلْكَ قصْتَهُ ..
وَمَضَتْ أَيَّامٌ ، فَتَحَقَّقَتْ نُبُوَّةُ يُوسُفَ هَذِهِ الَّتِي تَبَيَّنَ
بِهَا لِكُلِّ مِنَ السَّاقِي وَالْخَبَازِ .. فَخَرَجَ السَّاقِي مِنِ
السُّجْنِ ، وَعَادَ إِلَى مُمارَسَةِ عَمَلِهِ فِي الْقُصْرِ ، وَهُوَ
تَقْدِيمُ الشَّرَابِ إِلَى الْمُلْكِ ..
إِنَّمَا الْخَبَازُ ، فَقَدْ صَلَبَ ، وَرَثَكَ جَسَدًا فِي الْعَرَاءِ ،
لَا تَأْكُلُ الطَّيْرَ مِنْهُ ..
وَنَسِيَ السَّاقِي مَا طَلَبَهُ مِنْهُ يُوسُفَ هَذِهِ .. أَنَّهُ
الشَّيْطَانُ أَنْ يَذَكُّرُ قصْتَهُ لِلْمُلْكِ ..
فَاسْتَغْمَرَ يُوسُفَ هَذِهِ فِي السُّجْنِ بِضُعْفِ سَنَواتِ
بِرْعَمٍ أَنَّهُ دَخَلَ السُّجْنَ مَظْلُومًا ..

وَذَاتَ لَيْلَةٍ كَانَ مَلِكُ مِصْرَ نَائِمًا فِي فِرَاشِهِ ، فَرَأَى
حُلْمًا غَرِيبًا .. حُلْمًا أَفْزَعَهُ ، فَاسْتَيقَظَ مِنْ نُؤْمِنِهِ خَائِفًا



وَاللَّهِمَّ يَمْلُأُ وَجْهَهُ بِسَبَبِ هَذَا الْحَلْمِ ..

وَاسْتَدْعِي الْمَلِكَ الْكَهْنَةَ وَالْوُزَّارَاءِ وَرِجَالَ الْقُصْبَرِ

وَالْعَرَافِينَ وَقُصْنَ عَلَيْهِمُ الْحَلْمُ الَّذِي أَفْرَغْتَهُ ..

قَالَ الْمَلِكُ :

- لَقَدْ رَأَيْتُ فِي مَنَامِي شَيْئاً عَجِيباً .. رَأَيْتُ سَبْعَ بَقَرَاتٍ

سَمَانَ يَا كُلُّهُنَّ سَبْعَ بَقَرَاتٍ هَزِيلَاتٍ .. رَأَيْتُ الْبَقَرَاتِ

السَّمَانَ ، وَهِيَ تَخْتَفِي فِي جَوْفِ الْبَقَرَاتِ الْهَزِيلَاتِ ..

وَرَأَيْتُ سَبْعَ سَبَلَاتٍ خَضْرَ نَاخِرَةٍ ظَهَرَتْ أَعْصَمَ ، ثُمَّ اخْتَفَتْ ،

وَظَهَرَتْ بَدَلًا مِنْهَا سَبْعَ سَبَلَاتٍ جَافَةٍ يَابِسَةً ..

أَرْجُوْكُمْ أَنْ تُفَسِّرُوا لِي هَذَا الْحَلْمُ الْغَرِيبُ ..

أَنْصَتَ الْحَاضِرُونَ إِلَى قَصْةِ الْحَلْمِ ، لَكِنْ أَيَّاً مِنْهُمْ

لَمْ يَفْهَمْ لِهَذَا الْحَلْمِ أَيْ مَعْنى .. اشْتَكَرَ الْكَهْنَةُ

وَالْعَرَافُونَ - وَهُمْ أَفْدَرُ النَّاسِ عَلَى تَفْسِيرِ الْأَخْلَامِ - حَلْمُ

الْمَلِكِ ، وَقَالُوا لَهُ : إِنَّ مَا رَأَاهُ مَا هُوَ إِلَّا تَوْعَّ مِنْ أَخْسَاعَاتِ

الْأَخْلَامِ ، أَيْ الْأَشْيَاءِ الْمُخْتَلِطَةِ الْمُدَاخِلَةِ ، الشِّيْءُ يَرَاهَا

الثَّانِيُّ ، وَالثَّالِثُ لَا مَعْنَى لَهَا ..

وأجمعَ الحاضرونَ على أنَّ هذَا الْحُلْمُ لا معنى
لهُ ، وإنَّهُ منَ العَبِثِ تَفْسِيرٌ . . .

ولكنَّ الْمَلِكَ كَانَ عَلَى الْعَكْسِ مِنْهُمْ جَمِيعاً .. كَانَ
يَرَى أَنَّ هذَا الْحُلْمُ الْقَرِيبُ لَا يُبَدِّلُ أَنَّ يَكُونَ لَهُ مَعْنَى . . .

وَكَانَ سَاقِي الْمَلِكِ ، الَّذِي تَجَاهَ مِنَ السَّجْنِ حَاضِراً ،
فَتَذَكَّرَ فِي هَذِهِ اللَّهُظَةِ فَقَطَ أَمْرَ يُوسُفَ السَّاجِدَ . . . تَذَكَّرَ
أَنَّ هُنَالِكَ شَخْصًا وَاحِدًا قَادِرًا عَلَى تَفْسِيرِ هذَا الْحُلْمِ ،
وَأَنَّ هذَا الشَّخْصُ لَمْ يَرِزِلْ فِي السَّجْنِ .. فَقَدْ سَبَقَ
أَنْ فَرَّ لَهُ وَلِلْخَيَازِ حَلْمَيْهِمَا ، وَتَحَقَّقَتْ نَبَوَّاتُهُ ..

وَلِذَلِكَ تَقْدِيمُ السَّاقِي مِنَ الْمَلِكِ قَاتِلًا :

- أَعْرِفُ شَخْصًا يُسْتَطِعُ تَفْسِيرُ هذَا الْحُلْمِ لَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ ..

فَقَالَ الْمَلِكُ :

- وَمَنْ هُوَ هذَا الشَّخْصُ أَيُّهَا السَّاقِي !؟

فَقَالَ السَّاقِي :

- شَخْصٌ يُدْعَى يُوسُفَ ، وَهُوَ الآنَ مَوْجُودٌ فِي السَّجْنِ ..
فَلَتَأْمُرْ لِي بِزِيَارَتِهِ ..

وذهب الساقى إلى يوسف عليه السلام في السجن .

فقصص عليه حلم الملك ، طالما منه تفسيره . . .

فقال يوسف عليه : .

- إن مصر عقبة على سبع سنوات متواصلة من الرخاء .
تعقبها سبع سنوات مجذبة لا زرع فيها ولا ماء . . .
وبعد ذلك يأتي على مصر عام كله رخاء وخير . . .
ووجه يوسف التصيحة إلى المصريين قائلاً :

- عليكم في السنوات السبع الأولى ، وهي سنوات الرخاء الا تسترفوا في استهلاك القمح . وهو الغذاء الرئيسي - بل تزرون الأرض . وتأخذون من المخضول يقدر حاجتكم فقط . والباقي تتركوه في سنابله ، حتى لا يفسد أو يأكله الشوس نتيجة تخزينه في صوامع الغلال .
لأن هذا الزاد الذي ستدحرجونه في سنوات الرخاء سوف تحتاجون إليه في سنوات الجدب . حتى لا تتغير مصر للمنجاعة . . .

وعاد الساقى إلى الملك . فلما أخبره بتفسير



حَلْمِهِ ، الَّذِي عَجَزَ الْجَمِيعُ عَنْ تَفْسِيرِهِ ، أَصْدَرَ
الْمَلِكُ أَمْرًا بِإِخْرَاجِ يُوسُفَ مِنَ السُّجْنِ فِي الْحَالِ ،
وَطَلَبَ إِخْضَارَهُ إِلَيْهِ لِيَكُونَ مُشَارِهً لِلْعَاصِنَ ..

وَذَهَبَ رَسُولُ الْمَلِكِ لِإِخْرَاجِ يُوسُفَ مِنَ السُّجْنِ ،
فَرَفِضَ يُوسُفُ طَهْرَهُ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ السُّجْنِ ، بَلْ طَلَبَ مِنَ
الرَّسُولِ أَنْ يَعُودَ إِلَى الْمَلِكِ ، لِيَسْأَلَهُ أَوْلَأَ عَنِ التَّهْمَةِ
الْمُتُسُوءَةِ إِلَيْهِ مِنْ اُمْرَأَةِ الْعَزِيزِ ، فَإِذَا ثَبَتَ بِرَاءَتُهُ مِنْهَا
خَرَجَ مِنَ السُّجْنِ ..

فَلَمَّا عَادَ الرَّسُولُ إِلَى الْمَلِكِ أَصْدَرَ أَمْرًا بِسُرْفَةِ
الْتَّحْقِيقِ فِي هَذِهِ التَّهْمَةِ الْمُتُسُوءَةِ إِلَيْهِ يُوسُفَ ،
فَحَضَرَتْ زَوْجَهُ الْعَزِيزُ ، وَحَضَرَتِ النَّسْرَةُ الْلَّاتِي تَطْعَنَ
أَيْدِيهِمْ ، فَسَأَلَاهُنَّ الْمَلِكُ عَنْ سُلُوكِ يُوسُفَ رَأْخَلَاقِهِ ،
فَشَهَدَتْ جَمِيعُ النَّسْرَةِ بِرَاءَتِهِ يُوسُفَ ، وَدُخُولِهِ السُّجْنِ مَظْلُومًا ..
وَاغْتَرَفَتِ اُمْرَأَةُ الْعَزِيزِ بِأَنَّ يُوسُفَ بَرِيءٌ ، وَأَنَّهَا هِيَ
الَّتِي رَأَوْدَتْهُ عَنْ تَفْسِيرِهِ ، لِكِنَّهَا اسْتَعْصَمَ بِاللهِ ..

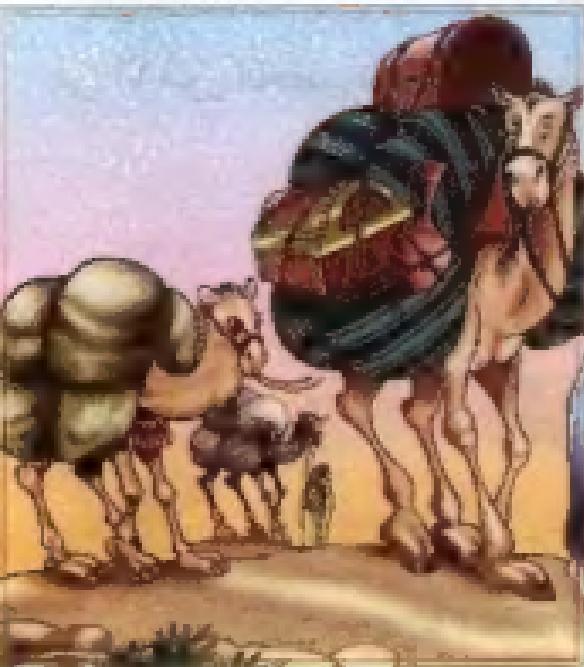
اعترفت امرأة العزيز بذنبها ، وبرأت يوسف عليه السلام من كل ما أُسِّبَ إِلَيْهِ ، وأرجعت مراودتها له إلى نفسها الأمارة بالسوء ، واستغفرت ربه ، لأنَّه هو وحده الغفور
الرحيم لمن استغفر وتاب عن ذنبه ..

ومن الواضح هنا أنَّ امرأة العزيز بعد دخول يوسف السجن ، قد رجعت عن ذنبها واغتنقت دين يوسف عليه السلام .. فلما ثبتت براءة يوسف عليه السلام وذهب الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه براءته ، خرج من السجن ، وقد برأه الله - تعالى - من كُلِّ ما أُسِّبَ إِلَيْهِ .. وأراد الملك أن يكون يوسف قريباً منه ، ليشير عليه في الأمور الخطيرة ، التي تُعرِّضُ لها البلاد ، فطلب

منه يوسف أن يجعله مسؤولاً عن خزائن الأرض
- أي خزائن الغلال والطعام .. فوافق الملك وعيته في
الحال .. وهكذا مكن الله - تعالى - ليوسف في الأرض ..

(تُمّت)

رقم الإيداع : ٢٦٦٤
التراجم الدولي : ٢ - ٢٥٩ - ٣٦٦ - ٩٧٦



قصص الأنبياء
الكتاب الثاني
يوسف عليه السلام
(٤)

عزيز مصر

احبوا على افتخاره